أركانُ التداوليةِ في سورةِ القدر
دراسةٌ تطبيقيةٌ

د. سيد أحمد موسوي پناه (الكاتب المسؤول)
أستاذ مساعد في اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، ايران
عليرضا عزيزي
خريج مرحلة دكتوراة، قسم اللغة العربية وآدابها / جامعة طهران الإيرانية
هاجر مهدي فتح الله
خريجة مرحلة ماجستير قسم اللغة العربية وآدابها / جامعة تربية مدرس

The pillars of pragmatics in Surat Al-Qadr - an applied study

Dr. Syed Ahmad Mousavi Panah (responsible writer)
Assistant Professor of Arabic Language and Literature at
Shahid Shamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran
Alireza Azizi / PhD graduate, Department of Arabic Language and Literature, University of Tehran, Iran
Hajar Mahdi Fathallah / Master's degree graduate, Department of Arabic Language and Literature, Tarbiat Modares University
Email: s.ahmadmosawipanah@scu.ac.ir

ملخص البحث

يُعدّ السياق أهم عنصر في أركان التداولية ، وقد استطاع هذا الركن تغيير مجرى الدراسات اللسانية التي لم تكن تعتني بالسياق الخارجي إذ إنَّها كانت تُعدّه عنصرًا ليس من صميم النظام اللغوي، غير أنّه ما إن دخلت الدراسات الإنجليزية على الساحة وكذلك عناية التداولية به وعدِّهِ ركناً أساسيًا من أركانها ، فقد استعاد دوره واعتباره المفتقدينِ من قبلُ ، وقد أوضحت هذه الدراسات كيف أنّ السياق يساعد على فهم النص وفكّ رموزه فعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ لولا السِّياقُ لَمَا فُهِمَ المعنى: تحقيرُ المخاطب؛ لأنّ الألفاظ خارجَ السِّياق دلالتُها التكريمُ وإعلاء الشّأن للمخاطب ، فإذن ليس بمقدورنا الاستغناء عن السياق اللغوي وغير اللغوي ؛ لأنّهما كالعملة الواحدة ذات الوجهين ، والسياق غير اللغوي يعني كلّ ما يحيل على خارج النص ، أو ما حوله من مؤثرات بيئية (تاريخية، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، نفسية..) من الممكن أن تنعكس على النص فيصطبغ ببعض ألوانها ؛ لذلك يسعى النقد التقليدي إلى أن يتخذ من السياق معولا مرجعيا يتكئ عليه في سبيل الولوج إلى أغوار النص وإضاءة جوانبه الداخلية ، هذا البحث يتخذ من المنهج الوصفي– التحليلي وسيلة ليتناول أركان التداولية في سورة القدر بعد دراستها نظريا ثم تطبيقها.

الكلمات المفتاحية: التداولية، السياق، سورة القدر.

Abstract

Context is the most important thing in deliberation. It helps a lot in comprehending and comprehending the text. Likewise, deliberation, as a new critical approach, gives speech of great importance in terms of usage and deals with creative texts as a multi-faceted fact. And since the context has an important role in deliberation, it deals with the types of context, including: the context of the communicators, and this includes the speaker and the addressee. The speaker chooses the vocabulary and arranges them according to the intention he is following in his speech. This research takes a descriptive-analytical approach as a way to address the pillars of deliberation in Surat Al-Qadr after studying it theoretically and then applying them.

Keywords: pragmatics, context, Surat Al-Qadr.

١ – المقدِّمة

يشكِّل التّواصل الإنساني بؤرة الكثير من المعارف التقنية والإنسانية ، وبما أنّ الإنسان كائن تواصلي فتقتضي هذه الكينونة وجودَ أطراف تُسَهِّلُ عملية التَّواصل ، ولا يخفى على أحد دور اللغة في تحقيق التفاعل، اللغة التي تشكل ملكة مشتركة بين جموع البشر، وشكلت عنصر بحث في المعارف كعلم الاجتماع وعلم النفس و.. اتخذت لنفسها فضاء علميًا مستقلًا مع دوسوسير ، إذ وضعت اللغة ضمن ثنائيات سوسير مقابلًا للكلام ، وحظيت بجلّ عناية سوسير الموجودة بالقوة في حياتنا وأهمل الجانب الفردي منها وهو الكلام ، وتأتي التداولية كمنهج نقدي جديد يمنح الكلام العناية الكبرى من حيث الاستعمال ويتناول النصوص الإبداعية بوصفها حقيقة متعددة الوجوه، ولها آفاق زمانية ومكانية تعبّر عن الخطاب بين المتكلم والمخاطب ، أو ما يكشف عن السؤال المرئي في التواصل داخل نصوص اللغة والأدب ، كما تجتهد التداولية في رسم دائرة الدلالة ، وتأكيد الممارسة التراثية في مجال اللسان والنص ، والتعبير عن انفتاح القارئ ، والمتلقي ، والمؤول ، والحامل على نص الكتاب.

١-١-أسئلة البحث:

-ما أهم عناصر السياق في دراسة التداولية؟

-ما دور عنصر السياق في كشف المقصود في سورة القدر؟

١-٢-الفرضيات:

-هناك مجموعة من العناصر التي تُشكِّل السياق في دراسة التداولية كالمرسِل والزمان والمكان وغير ذلك.

للسياق دورر بارز ومهم جدًا في تحديد المراد عندما لا تستطيع الدلالات اللغوية الكشفَ عنه.

٢- نشأة التداولية:

٢-١- لفظ البراغماتية "التداولية حديثا" قد تمّ استعماله من قبل فلاسفة اليونان كإفلاطون وأرسطو ، وأوغسطين ودائز سكوت ، وكوبرنيكوس وجالينوس وغيرهم وهي مشتقة من "براغما" أو "براجما"pragma"، و أول من وضع مصطلح التداولية من العرب في مقابل مصطلح البراجماتية هو الفيلسوف اللغوي طه عبد الرحمن سنة ١٩٧٠.

٣- تعريف التداولية:

٣-١- التعريف اللغوي للتداولية في المعاجم اللغوية:

أ- في معجم أساس البلاغة للزمخشري:

دَوَلَ: دالت له الدولة ، ودالت له الأيامُ بكذا ، وأدال الله بني فلان من عدوهم أي: جعل الكرة لهم عليهم وعن الحجاج: إنّ الأرض ستُدال منا كما أدِلنا منها[١].

٣-٢- التعريف الاصطلاحي للتداولية:

التداولية ليست علمًا لغويًا محضًا - بالمعنى التقليدي - علمًا يكتفي بالوصف والتفسير، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ، ويدمج مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة " التواصل اللغوي وتفسيره"[٢].

"التداولية درس جديد وغزير إلّا أنّه لا يمتلك حدودًا واضحة فقد كانت في بدايتها تستلهم وجودها من ما يحيط بها من علوم نفسية واجتماعية ، وفلسفية وتاريخية ، وثقافية ودينية.. ؛ لذلك نلحظ أنّ التداولية في بدايتها لم تكن ذات طبيعة تخصصية، وبعد ظهورها على الساحة سعت لإثبات ذاتها بأن أصبح لها طابع مستقل وكيان منفصل عن العلوم الأخرى ، يعرف باسم التداولية والتي بدورها تربط دارس تركيب النص بما يحيط بها من ملابسات سياقية"[٣] كان أقدم تعريف للتداولية هو لمورس(١٩٣٨): "إنَّ التداولية جزء من

(١) أساس البلاغة، الزمخشري ، تحقيق محمد باسل عيون السود، ١ / ٣٠٣ .
(٢) التداولية عند علماء العرب ، مسعود صحراوي ، ١٧.
(٣) النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، أحمد فهد صالح شاهين ، ٨-٩.

السيمائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات"[١]، ويعرفها دلاس بأنها: "تخصص لساني يدرس كيفية توظيف الناس للأدلة اللغوية ، في صلب أحاديثهم وخطاباتهم كما يعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث"[٢].

٥- مباحث التحليل التداولي:

٥-١- مفهوم التلفظ:

"نظرية التلفظ هي ترجمة لـ(exorcisation) وهي مجال مهم من مجال التداولية، وقد أرسى دعائم هذه النظرية اللساني المشهور"بنفيست" إذ يرى أنّ التلفظ هو تطبيق اللغة في الميدان عن طريق عملية استعمال فردية لها"[٣].

٥-٢- أفعال الكلام:

"أضحى مفهوم الفعل نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية ، وفحواه أنّه كل فعل كلامي ينهض على نظام شكلي ودلالي، فضلًا عن ذلك يعدّ نشاطا ماديًا ونحويًا يستهدف تحقيق أقوال كلامية ، وأهداف تكلمية كالطلب والأمر والوعد والوعيد... وأهداف تكليمية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول"[٤].

٥-٣- الحجاج:

الحجاج بالمعنى الفني يدل على صنف مخصوص من العلاقات المُودعة في الخطاب ، والمدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية ، والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون درجية ، أو قابلة للقياس بالدرجات أي أن تكون صلة بين سلالم.

"إن التداولية المدمجة تحسب أنّ القيمة الإخبارية للملفوظات قيمة ثانوية بالنظر إلى قيمة الملفوظ الحجاجية؛ من هذا المنظور نرى أنّ المجال التداولي هو قاعدة التركيبة الجامعة

(١) المقاربة التداولية ، فرانسواز أرمينكو، ت(سعيد علوش) ، ٨.
(٢) مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، الجيلاني، دلاش ، ١.
(٣) الملفوظية، قاسم مقداد، جان سرفوني، ٢٢.
(٤) المرجع السابق، ٥٢-٥٣.

حيث الإعراب ، والدلالة لا يحتلان إلّا مواضع التجريد دون توافق نظري منطقي ما لم يرتبط بقاعدتها المؤسسة"[١].

٥-٤- المقاصد:

تعددت دلالات مفهوم القصد في المعالجات النظرية فهو دال على عناصر ثلاثة :

- بمعنى الإرادة.

- بمعنى الخطاب.

- بمعنى هدف الخطاب.

وللقصد دوره في تقنين مسارات النقاش والحجاج ، بشرط أن يكون المرسل إليه قد فهمه كما يعنيه المرسل ، حيث يجب عليه ألّا يتكلم إلّا على مقصوده من كلامه ، ولا يفترض لما لا يقصد مما يجري عبره ، فالكلام على ما لم يقصده عدول عن الحقيقة ، إذ ينبني على القصد المستلزم من الخطاب السابق ما يأتي بعدهن ، فيصبح هو أساس الخطاب التالي بين الطرفين وبالتالي يتحتم عدّه في مسار الحوار إستراتيجية الإقناع مثلًا ، أو في أي خطاب تناظري ، أو جدلي وتنبع أهمية فهمه على أنّه دون القصد لا يدرك المرسل إليه المعلومات على أنّها إشارة من لدن المرسل بل هي مؤشر.

دراسة التحليل التداولي في سورة القدر:

الجَوّ العام للسورة:

في بداية هذه السورة هناك إخبار من المرسِل الذي يتكلم عن نفسِه بالرفعة والجلال والتعظيم ، لِيَلِيَهُ تغييرُ لونِ الكلام من غيبة إلى خطاب عبرَ قوله " ما أدراك " تبينا لمكانة المُنزَل ، ثُمّ بعدَ هذا الخطاب تُضاف جملةٌ مِن العبارات التي تكشف عن مقامِ ذلك الحدث ووقته ، والسبب الذي من أجله شَرُفَت تلك الليلة التي بها تتنزل الملائكة ، وجبريل عليه السلام على الخصوص ، وأنّها ليلة مليئة بالسلام والرحمة، المفهومينِ من الحصر الناتج عن

(١) التداولية والحجاج: مدخل ونصوص، صابر الحباشة، ٢٢.

تقديم المسند على المسند إليه في قوله "سلام هي" وكذلك تحديد لحظة البداية والنهاية لهذه الليلة ، وأنّها من الليل حتَّى طلوع الفجر.

قوله تعالى : "إنا أنزلناه في ليلة القدر":

أولا : افتتح الكلام بضمير المتكلِّم مع الغير؟

ثانيا: أكد الكلام بأساليب عدة: منها "إنّ" والجملة الإسمية، تكرار الإسناد في "أنزلنا" بعد "إنا"؟

والسبب وراء افتتاح الكلام بضمير المتكلم مع الغير دون ضمير المتكلم وحده – مع العلم أنّ المنزّل لهذا الخطاب هو الله سبحانه وتعالى فيه – ليشير عبر ذلك إلى الأسباب التي ترتبط بنزول القرآن ، والعوامل ذات الصلة ، والأثر بهذا التنزيل وهي: أنّه هناك مرسل وهو الله سبحانه وأنّه يوحي عبر وسيط سماوي من جنس الملائكة ، هو جبريل عليه السلام إلى رسول أهل الأرض ، رسول من جنس الناس ليقبل الناس منه النداء الإلهي بعد تبليغه إياهم ؛ وذاك أنّ الناس لا يقبلون إلّا من رسول من أنفسهم ؛ لأن كل جنس يأنس بجنسه ، وينفر من غير جنسه كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ ، فلو جعل الله الرسول إلى البشر ملكا لنفروا من مقاربته.

إذن لو تم أبدال هذا الضمير بضمير المتكلم وحده ، وقال: "أنا أنزلته" لما تضمن كل هذه المعاني. فكل هذه دلالات خفية تبين المراد من غير أن تنطق بالحروف.

وفائدة إتيانه بكل هذا التأكيد ليدفع ظن مَن يظن أنّ هذا القرآن منزَّلٌ من قبل غير الله تعالى كأنّه يقول أنّ مثل هذا لا يتسنى لغير الله أن يأتي بمثله ، وأن هذا لا شك قد أنزله الله تعالى بقدرته ولطفه.

ومن طريق السياق تتضح العلاقة بين اختيار المفردات ؛ لإنّ الحديث عن العلاقة بين العلامة ومؤوليها يشير ضمنيا إلى مستهملها ، فالعلامةُ قبل استعمالها تمر بعملية تأويل ذهني هي التي تمكن من استعمال علامة بعينها دون بقية العلامات، واستعمال العلامة

يطرح جملة من التساؤلات تخصّ المستعملين، غايات الاستعمال (المقاصد) ، وظروف الاستعمال (السياق) تمثلت هذه التساؤلات كما أشار فرانسواز أرمينكو في:

"مَن يتكلّم؟ (المتكلّم/ المُبدِع)===:الذات المقدسة.

مَعَ من تَتكلّم؟(المُستمع/ المتلقي)===:إلى خلق ومن خوطب بهذا الكلام.

لأجل ماذا نتكلّم(مقاصد الكلام)===: بيان وقت نزول القرآن وفضل ذلك الوقت.

ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة ، أو أخرى(السياق)."

وعبر النصّ القرآني الماثل بين أيدينا نحاول أن نرصد تغير الموقف تبعًا لتغير السِّياق:

فعل القول: الجمل بمستوياتها الصوتية ، والتركيبية والدلالية ، ويُراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة.

الفعل المتضمن في القول: هي جملة أنّ الذات المقدسة هي التي أنزَلَت ذلك الكتاب ، المشتمل على أوامر الله تعالى ونواهيه في وقت خاص"إنا أنزلناه في ليلة القدرة".

الفعل الناتج عن القول" الفعل التأثري: بوساطة وما يصحبه من فعل متضمن في القول قد يكون الفاعل وهو الشَّخص المتكلم بفعل ثالث وهو التأثير على المخاطب بإقناعه وإرشاده.

فلما تكلم المتكلم بضمير المتكلم مع الغير إشار إلى الأسباب التي سببها ؛ لتكون وسيطة لإيصال نداءه إلى المرسل إليه ، ولو افترضنا أنّه تكلم وقال: "أنا أنزلته" لانعدمت تلك الفائدة ولم يكن ما يدل عليها.

ولّما أراد المتكلم الإشادةَ بتلك الليلة ذَكَرَ استفهامٌ ترتَّبَ عليه بعضُ الجمل والكلام بيانًا لِمَا تتضمنه تلك الليلة.

وقد ترتب على "ما أدراك " عدة أمور منها : بيان فضل ليلة القدر ، وأنّها وقت نزول الملائكة والروح ، وأنّها زمن دعاء لأنّها رحمة وسلام فقط.

كما نلاحظ أنّ في هذه السورة مجموعة من الأمور التي تهيّج المخاطَبَ ؛ ليتيسر له أن

يُعوِّض أمرا لا يكاد له أن يدركه بالطرق العادية لو جهد نفسه كثيرا ، وهذه الأمور هي:

١ – أنّ هناك أمرا منزَّل من قِبل مَن يَنحدَّث بالعظمة.

٢ – وأنّ المنزَّل قد نزل في ليلة عظيمة تستحق أن تسمى ب"بليلة القدر".

٣ – أنّ هذه الليلة خير من ألف شهر.

٤ – أنّها تتنزل فيها الملائكة.

٥ – أنها ينزل فيها أعظم الملائكة وهو جبريل عليه السلام.

كل هذه الأمور تدل على عظمة هذه الليلة وكأنّها فرصة حقيقية لا تعوض ، إذاما فاتت من أحد.

كل هذا ليهيج المخاطب حتى يهيئ نفسيته ؛ لاستقبال مثل هكذا ظرف بكل حفاوة ، وعليه أن يتجهز كل الجهوزية لها.

لكن ما السبب وراء كل هذا التهيج للمخاطب ، وما علاقة أسلوب النص والرسالة بحال المخاطب؟

ما أثر نفسية المخاطب بسياقة النص بهذه الطريقة التي تحتوي على هذا الأسلوب والخطاب المُهَيِّج؟

إذا ما راجعنا كتب التفسير نجدها تذكر قصة لها صلة بين أسلوب الرسالة والمرسل إليه ، نذكرها، قال الزمخشري : " أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلًا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب المؤمنون من ذلك ، وتقاصرت إليهم أعمالهم ، فأعطوا ليلة هي خير من مدةّ ذلك الغازي ، وقيل: إنّ الرجل فيما مضى ماكان يقال له عابد حتى يعبد ألف شهر، فأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحقّ بأن يسموا عابدين من أولئك العباد".

وكل هذه الأساليب علامات تدل على خفي في داخل نص المتكلم من دون أن ينطق به ، وأراد التعبير عنه عبر الدلالات الصامتة ، والحديث عن العلاقة بين العلامة ومؤوليها يشير

ضمنيا إلى مستعمليها ، فالعلامةُ قبل استعمالها تمر بعملية تأويل ذهني وهي التي تمكن من استدعاء علامة بعينها دون بقية العلامات ، واستعمال العلامة يطرح جملة من التساؤلات تخصّ المستخدمين، غايات الاستعمال (المقاصد) ، وظروف الاستعمال(السياق) ، وتمثلت هذه التساؤلات كما أشارت فرانسواز أرمينكو في:

"مَن يتكلّم؟ (المتكلّم/ المُبدِع)===:الذات المقدسة.

مَعَ من تَتكلم؟(المُستمع/ المتلقي)===:إلى خلق ومن خوطب بهذا الكلام.

لأجل ماذا نتكلم(مقاصد الكلام)===: بيان وقت نزول القرآن وفضل ذلك الوقت.

ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة أو أخرى(السياق)."[1]

ومن النصّ القرآني الماثل بين أيدينا نحاول أن نرصد تغير الموقف تبعًا لتغير السِّياق:

فعل القول: الجمل بمستوياتها الصوتية ، والتركيبية والدلالية، ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة.

الفعل المتضمن في القول: هي جملة أنّ الذات المقدسة هي التي أنزَلَت ذلك الكتاب ، المشتمل على أوامر الله تعالى ونواهيه في وقت خاص"إنا أنزلناه في ليلة القدرة".

الفعل الناتج عن القول" الفعل التأثري: بوساطة وما يصحبه من فعل متضمن في القول ، قد يكون الفاعل وهو الشَّخص المتكلم بفعل ثالث وهو التأثير على المخاطب بإقناعه وإرشاده.

وهنا لّما أراد المتكلم الإشادةَ بتلك الليلة ذَكَرَ استفهامٌ ترتَّبَ عليه بعضُ الجمل ، والكلام بيانًا لِمَا تتضمنه تلك الليلة.

وقد ترتب على "ما أدراك " عدة أمور منها : بيان فضل ليلة القدر ، وأنّها وقت نزول الملائكة والروح ، وأنّها زمن دعاء لأنّها رحمة وسلام فقط.

(١) المقاربة التداولية-مركزالإنماء القومي فرونسوا ارمينكو ، ترجمة سعيد علوش ، المغرب دط ، د ت ، ٥.

إنّ أفعال الكلام بهذا الشكل ترصد العلاقات بين المتخاطبين، هذه العلاقات التي يحكمها الحوار الهادئ أحيانًا ، ويحكمها الحوار الساخن ومنطق الصدام.

قوله تعالى:" إنا أنزلناه في ليلة القدر"

الضمير من أدوات الربط لأجزاء النص ، يقوم مقام الظاهر فيغني عن تكراره ، ويصل الجمل بعضها ببعض ويحيل ما هو لاحق بما هو سابق ، فيربط آخر الكلام بأوله ، والقرآن الكريم جاء على سَنَن العرب في نظم كلامه ، فاستعمل الضمير بحسب لسانهم ووفقا لقواعدهم.

وللضمير أغراض كثيرة ومتعددة منها: الاختصار ، والتعظيم ، والتحقير ، وكل ذلك يعرف بحسب القرائن المُودَعة في الكلام.

ففى قوله تعالى:"إنا..."

ماغاية المتكلم عندما جاء كلامه مبروءًا بالضمير دون أن يذكر اسما صريحا؟

من المراد بالمتكلم ولماذا ضمير المتكلم مع الغير وليس ضمير المتكلم وحده؟

استعمال الضمير في كلام العرب يخضع لقواعد ، إذ لابد أن يتقدم على الضمير اسم ظاهر ويعود إليه إمّا ملفوظ ، أو محذوف بقرينة ، أو يعود على لفظ متضمن له ، أو يدل على اللفظ بدلالة الالتزام نحو "إنا أنزلناه في ليلة القدر" ، وإذا عدلوا عن الظاهر فلا يخرج الكلام ، إمّا أن يكون عبثا لا غرض وراءه ، وهذا لا يصدر عن بليغ عارف بلغة القوم ، أو يكون هذا العدول جاء لنكتة يدل عليها قرينة.

لما أراد المتكلم هنا أن يرفع من شأن نفسه، عَدَلَ عن ضمير المتكلم وحده إلى ضمير المتكلم مع الغير، شأنَ الملوك عندما يخاطبون غيرهم، والقرينة التى تركها تدلّ على هذا القصد هي السياق ، إذ يشير السياق هنا إلى التفخيم ، وهذا يفهم من عرف اجتماعي لغوي.

كذلك عندما أراد المتكلم أن ينوه بشأن المرسَل ، عَدَلَ عن الظاهر وتَرَكَ العِنَانَ للسياق

ليشير إلى هذا الغرض ، ففي ضمير الهاء في "أنزلناه" تظعيم للمنزل ، "عظم القرآن من ثلاثة أوجه أحدها: أنّه أسند إنزاله إليه ، وجعله مختصا دون غيره والثاني: أنّه جاء بضمير دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة ، والاستغناء عن التنبيه عليه"[١]

وحينما كان نزولُ القرآن مرة في ليلة القدر، ومرة منجما أراد أن يُعَظِّم تلك الليلة دون أن يذكر صفة صريحةٍ كلفظٍ مُشتق من "ع ظ م" ، بل أراد تعظيمها عبر الأسلوب مستعينًا بقرينة السياق؛ لذلك ذَكَرَ لفظ "ليلة القدر"... ".. الرّفعُ مِن مقدار الوقت الذي أنزل فيه ، روي أنّه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا."[٢]

ولّما كان هذه الليلة تحظى بهذه المكانة والمنزلة الرفيعة ، أضافها للفظ "القدر" ليشير إلى خطرها وشرفها على سائر الليالي،

كذلك الاستفهام في قوله "ما أدراك ما ليلة القدر" ، فلولا السياق لما فهم المعنى تعظيم شأن تلك الليلة ؛ لأن اللفظ لا يُوصِل معنى سوى نفي علم المخاطب بالنسبة لهذه الليلة، لكن السياق دلّ دلالةً جليلة لا لبس فيها على التفخيم ؛ لأنّ عند الرجوع إلى تخاطبات العرب نراهم لا يستعملون هذا الأسلوب إلّا عندما يريدون التفخيم وتعظيم الشيء.

كذلك اختيار هذه اللفظة بهذه الإضافات الدالة على التشريف ؛ لأنّه .."يقتضي عنصر المكان أن يختار المرسِل إشارات مكانية ذات دلالة لفظية محددة لها خصوصية تنبع من ارتبلطها بسياقها المقامي..."[٣].

وإظهار لفظ "ليلة القدر" في مقام الإضمار فيه دلالة على أنّ المراد الاهتمام بهذه الليلة وبيان مكانتها.

قوله "خير من ألف شهر" لا يمكن الوقوف على فهم المراد الملائم لهذه الآية ، دون الرجوع إلى السياق الاجتماعي الذي يتمثل في أعراف العرب في تعابيرهم اللغوية ؛ لأنّه

(١) الكشاف ، سورة القدر.
(٢) المصدر نفسه ، الموضع نفسه
(٣) النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، أحمد فهد صالح شاهين، ١٩.

"عني بألف شهر جميع الدهر؛ لأنّ العرب تذكر "الألف" في غاية الأشياء ، كما قال تعالى: يود لو يعمر ألف سنة يعني جميع الدهر"[1].

"تنزل الملائكة" التعبير بالمضارع فيه دلالة على أنَّ التنزل مُتكرر في المستقبل بعد نزول هذه السورة.

ولتحديد زمن ليلة والوصل إلى توقيتها بشكل قطعي ، لا يمكن الاكتفاء بالدلالة اللغوية دون الرجوع إلى سياقات وقرائن خارج النص ، وهي أحاديث السنة النبوية "تحروا ليلة القدر في الوتر في العشر الأواخر من رمضان".

ويتضح ممّا سبق بوضوح أثر السياق في عملية التخاطب ، وتأثيره في المواقف بتعديلها وتبديلها ، وأنّ الاهتمام بالسياق في التحليل التداولي رافقه اهتمام آخر ، وهو ما تحدث اللغة من أثر في مستعمليها ، فاللغة حسب "أوستين" لم تعد وسيلة تواصل فحسب بل هي وسيلة للتأثير في الواقع ، وتغيير السلوك والمواقف ، إذ يتم بفضلها إنجاز جملة من الأفعال وهو ما يعرف بأفعال اللغة ، أو الأفعال الكلامية ، وقد أصبح هذا المفهوم نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية فحواه : أنّه ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي وتأثيري.

النتائج:

-تجلى موضوع التداولية عند العرب القدماء في مصطلح السياق ، إذ إنّ تنوع الوظائف التداولية هو انعكاس لتنوع السياق كاستجابة له.

-تحمل سورة القدر، الكثير من الدلالات التي لم يُأتَ بها صراحة بل ذكرت عبر الأسلوب بقرينة السياق ، كالإضمار دون أن يتقدم لذلك المضمر مرجع ليحمل في طياته معان ودلالات غير صريحة.

-الكثير من دلالات السورة لا يمكن الوصول إليه عبر الدلالات اللغوية ، بل لابدّ من الرجوع إلى دلالات ، وقرائن أخرى يدلَّ عليها السَّياق العُرفي والاجتماعي والتحليل النفسي.

(١) تفسير القرطبي ، سورة القدر.

-تَبَيَّنَ أنَّ دلالة السياق تَرشد إلى تبيين المُجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد.

-السَّياق هو الذي يُحدد الإنجازية المقصودة من الفعل الكلامي حيث يَستَدعي كل قول نوعا معينا مِن الإنجاز.

اتضح أنَّ أسباب النزول والأحاديث تَحظَى بمكانةٍ هامةٍ ؛ لفَهم سُور القرآن وعلى هذا فإنَّ معرفتها يُسَاعِد كثيرًا في بيان مراد الآية والسُّوَر.

-الاعتماد على سياق الآية له أهميةٌ كبيرة مقابل المنطوق حيث إنّه يمكن أن يوضح القصد الحقيقي وإن أشار المنطوقُ إلى معنى غيرِ مرادِ.

المصادر و المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. أساس البلاغة ، الزمخشري- ابوالقاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق محمد باسل عيون السود.

٣. التداولية عند علماء العرب ، صحراوي مسعود-٢٠٠٥- ، الطبعة الأولى ، دار الطباعة.

٤. التداولية والحجاج: مدخل ونصوص- صفحات للدراسة والنشر ، صابر الحباشة -٢٠٠٨- ، دمشق.

٥. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، عبد الرحمن- طه-٢٠٠٠- ، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي ، الرباط.

٦. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري- ابوالقاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

٧. لسان العرب ، ابن منظور– جمال الدين بن مكرم ، دار صادر ، بيروت.

٨. مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها ، الجيلاني، دلاش ، ترجمة محمد يحيا تن– ديوان المطبوعات المركزية ، الجزائر.

٩. المقاربة التداولية ، فرانسواز أرمينكو–١٩٨٦– ، ترجمة سعيد علوش– مركز الانماء القومي– الرباط.

١٠. الملفوظية ، جان سرفوني–١٩٩٨– ، ترجمة قاسم مقداد ، من منشورات إتحاد الكتاب العرب.

١١. النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة ، أحمد فهد صالح شاهين–٢٠١٥– ، الطبعة الأولى– عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع– الأردن.

١٢. نظرية السياق بين القدماء والمحدثين: دراسة لغوية نحوية دلالية ، عبد النعيم خليل ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر–الإسكندرية.

١٣. www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php